مجلّة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية- المجلد 5 - العدد 1 (2021) - [275-255]
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية / الجزائر
E-ISSN : 2588-1728 / P-ISSN : 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

الدِّين والتدين في "عالم ما بعد كورونا-كوفيد 19"

Religion and Religiosity in the "Post-Corona virus (Covid19) World"

د. عبدالكريم القلالي
جامعة سيدي محمد بن عبدالله–فاس– المغرب
karim_kallali@hotmail.com

ملخص

يتناول هذا البحث "الدين والتدين في عالم ما بعد كورونا –كوفيد 19" بالبيان والتحليل أهمية الدين والتدين في الحياة وبيان أثرهما، وأن الإسلام بما اشتمل عليه من قيم رفيعة هو القادر على إنقاذ البشرية من تيهها، كاشفا واقع الحضارة العالمية وما هي عليه من ادعاءات وشعارات زائفة، يراد بها الهيمنة والتضليل، وقد كشفت أزمة الوباء حقيقة تلك الادعاءات وتهافتها. كما يستشرف المقال الواقع الديني المحتمل لعالم ما بعد كورونا، وما ينبغي أن تستخلصه الإنسانية من عبر من الوباء، –سيما الأمة الإسلامية باعتبارها أمة شاهدة– من ريادة واستبصار وأخذ بأسباب القوة المادية والروحية.

الكلمات المفتاحية: التدين، كورنا كوفيد 19 ، الدين والتدين، جائحة كورونا.....

Abstract

This research deals with "Religion and Religiosity in the Post-Corona World - Covid 19" with the statement and analysis of the importance of religion and religiosity in life and their impact, and that Islam, with the high values it contains, is capable of saving humanity from its wandering, revealing the reality of global civilization and its claims false slogans intended for hegemony and misleading. The pandemic crisis has revealed the truth and fading of these allegations. This paper also explores the possible religious reality of the post-Corona world, and what humanity should deduce from the path of the epidemic, especially the Islamic nation as a witness nation - of leadership, insight, and following the causes of material and spiritual strength.

Keywords: Religiosity, Corona virus- Covid 19, Religion and Religiosity, Corona pandemic.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

منذ ظهور أزمة وباء "كورونا كوفيد 19" في مدينة "ووهان" الصينية، وانتشاره في مختلف دول العالم، مخلفا آلاف القتلى وملايين المصابين، ظهرت حقائق بادية للعيان، تجلى فيها ضعف الإنسانية وقلة حيلتها، واضطرابها، وكشف الوباء حقيقة الحضارة الزائفة ودعاوى حقوق الإنسان، وتبين القصور العلمي للعالم بأسره الذي ظن أنه بلغ مراحل علمية متقدمة تقيه المخاطر المحدقة به، وتجلى زيف الحياة المادية المعاصرة المتنكرة للدين ووظيفته في الحياة، خاصة مع تشكل نظام عالمي اتسم بتنكره المفرط للدين، وسعى إلى الهيمنة الأحادية الاستعلائية على العالم فكرا وسلوكا واقتصادا، مقدما نفسه أنه النموذج الأمثل والأصوب لقيادة العالم.

ولما كان الدين محاربا بما يتكرر من طمس لحقائقه، وقيمه ومثله، في صور سرية وعلنية، للتنفير منه، رغم تجدد الحاجة إليه عند كل أزمة حقيقية تمر بها البشرية، يتأكد فيها أنه لا منجا ولا ملجأ إلا إلى الدين الخاتم الذي يصلح حال البشرية كلها روحا ومادة اقتضى ذلك تناوله واستدعاءه ببيان وظيفته في الحياة وأهمية التدين في دفع الأزمات، والتذكير بأثر ذلك وبيان أهميته كخطوة أولية وضرورية، تنطلق مما ينبغي أن تكون عليه النظرة الإنسانية لشؤون الحياة، من تأمل وتبصر واعتبار، وهو بذلك لا يفتأ «يؤسس نظره الملكي على نظره الملكوتي، وبفضل هذا التأسيس يجد الصلاح في الحال فيحيا حياة لا ضنك فيها، كما يرجو الفلاح في المآل، فيسعد سعادة لا شقاء معها»[1].

وفي ضوء ما سلف ينبني هذا المقال على فرضية مفادها: أن الدين والتدين ضرورة لاستقامة حياة الإنسان واعتدالها، وأن الإسلام بما اشتمل عليه من قيم رفيعة تعامل الإنسان انطلاقا من إنسانيته وكرامته هو المنقذ للبشرية من تيهها، وأن الحضارة

[1] طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص: 19.

العالمية المهيمنة والممجدة لذاتها قائمة على شعارات زائفة، وادعاءات فئوية أو كاذبة، تبين لذي عينين زيفها باليقيني من المشاهدات والمحسوسات خلال أزمة الوباء.

وأهم الإشكالات التي يسعى المقال للجواب عليها، هي: ما حاجة الإنسانية إلى الدين؟ وما وظيفة الدين والتدين في عالم ما بعد كورونا؟ وهل ستتغير ملامح العالم ورؤاه تجاه الدين والتدين؟ وهل سيكون لها تأثير على تصوراته؟.

أولا: وظيفة الدين في الحياة

الحديث عن الحاجة للدين في هذه الظروف ليس ضربا من اللغو أو ترفا من القول، بل هو تنبيه على أمور ذكر بها الوباء كثيرا من الغافلين، بعد أن بلغ الظن ببعضهم إلى اعتبار أن العالم قد بلغ من التقدم ما يمكنه من مواجهة كل شيء، وكادت النظرة الإنسانية للدين تقتصر على اعتباره أمرا ثانويا متجاوزا سيما في الحضارة الغربية المادية، وركن الناس إلى الماديات على نحو مفرط وظنوا أنهم مانعتهم مادياتهم من المخاطر "فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا" بعدما خيل إليهم أن التقدم العلمي أكسبهم مناعة وتمنيعا من الأوبئة الفتاكة التي مرت في مراحل تاريخية ظُن أن فتكها بالإنسان راجع إلى بساطة الوسائل العلمية، والحال الحق والواقع هو ما أنبأ به القرآن الإنسانية جمعاء ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85).

وقد ظهر خلال أزمة الوباء مدى الحاجة إلى علاجات أخرى في الوقاية من الصدمة والثبات عند الابتلاء، وأن العلاج المادي وحده غير كاف لوقاية الإنسان، بل لابد له من شيء آخر يثبته ويسكن روعه وفزعه؛ لكيلا يزيد غما على غم، وقد رأينا جميعا كيف طغت مشاعر القلق والفزع على بني الإنسان خوفا من حلول الوباء بهم، وأن الفئة المصابة بالذعر والقلق لم تكن أحسن حالا بكثير ممن أصيب بالبلاء؛ فكان الابتلاء من جهة نزول البلاء ووقوعه، ومن جهة القلق والخوف منه، وكشف ذلك كله عن حاجة الإنسانية للعودة إلى الدين المسكن للنفوس بما يتضمنه من حقائق إيمانية وقيم أخلاقية ضابطة وموجهة؛ فالحديث عن وظيفة الدين في الحياة يأتي انطلاقا من حاجة الإنسانية كلها إلى ما يدفع عنها المخاوف ويجعلها قادرة على التعامل بما ينزل بها من مخاطر، سواء على صعيد الفرد، أو الجماعة، أو الأمة، سيما مع طغيان

المادة المبينة عن ظمأ روحي تعيشه الإنسانية في رخائها وأزماتها، وقد استدعت أزمة كورونا الجانب الديني –اضطرارا أو اختيارا– لدى مختلف أمم الأرض، وصدرت دعوات من مختلف الجهات الرسمية وغير الرسمية للعلماء و"رجال الدين" للمشاركة في مكافحة كورونا نظرا لموقعهم الروحي وتأثيرهم على المجتمع[1]، أو طمعا فيما بقي من ذلك التأثير الذي لطالما تعالت دعوات من الشرق ومن الغرب داعية للانفكاك عنه[2].

وإذ نتحدث عن وظيفة الدين في الحياة؛ فإنه تبعا لتلك الوظيفة نتحدث عن الدين المؤثر المنقذ للناس من التيه، الملبي للحاجيات الإنسانية، والمنظم لشؤونها تنظيما محكما يعجز البشر أن يأتي بمثله، باعتباره تنزيلا من حكيم خبير ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42) يهدي البشرية في كل شؤونها لما فيه صلاحها في دنياها وأخراها، فهناك الدين المحفوظ الذي لا يتبدل ولا يتغير، وهناك الأديان المحرفة التي هي أقرب إلى الرؤى البشرية – بما كثر فيها من تحريف– التي تختلف من زمان لزمان ومن مكان لمكان، فلا مناص من الاستمساك بالدين الحق المصون المحفوظ باعتباره التشريع الحق لما شرعه الله لعباده في نظمهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومهما بلغ الإنسان من نضج لن يكون بإمكانه الاستغناء عن الدين أو الإتيان بمثله فضلا عن التفوق عليه؛ ذلك أن البشر طبعه القصور العقلي، والدين الحق الثابت تنزيل العليم الخبير، فمهما بلغ الإنسان بنقده ومهما حاول الوصول إلى ما قد يتجاوز به الدين؛ فإنه سيجد نفسه مضطرا للرجوع إليه بعد كل ابتلاء يظهر له زيف ما كان عليه من تصور فكري للحياة؛ وكلما

[1] من ذلك ما تناقلته وسائل إعلام مختلفة عن الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريش" دعوته "رجال الدين المسلمين والمسيحيين واليهود" إلى المشاركة في مكافحة فيروس كورونا حول العالم.

[2] فضلا عن الفقر والعجز عن تدبير الأزمة؛ فإنه قد تبين أن الدولة لابد لها من دين تقوم عليه، وتسوس به الناس، وأنها قد تواجه بعصيان يصعب معه ترويض الناس إلا عن طريق خطابهم بما يعتقدون وما به يؤمنون، وقد أثبتت كورونا مرونة التعامل والتأثير لدى الفئة المتدينة، وتعايشها مع الأمر دون التفكير في الإقدام على إهلاك النفس لاعتقادها حرمة ذلك.

كان الانطلاق من هذه المرجعية أمكننا الاتفاق على كثير من الأشياء وتوحيد الرؤى حولها «ومن يتخذ لنفسه دينا من صنعه لا يرجع فيه إلى دليل ولا إلى مصدر، ولا يقبل فيه نقدا ولا وعظا، فقد جعل حرية الدين باللعب الذي لا قواعد معه أشبه بشيء آخر ...، وظهور التسيب عند الفرد هو من تسيبه في أمر الدين»[1] ولا ريب أن هذا التسيب سيوقعه في الحيرة والاضطراب؛ فالدين الذي نلتمس وظيفته في الحياة وتأثيره فيها هو الدين الخاتم المهيمن؛ ذلك أنه الدين الذي بقي محفوظا ولم ينل كتابه أي تبديل أو تغيير، وهو المشتمل على الرؤية والتصور الذي يخلص الإنسان من مختلف الأزمات ويجعله قادرا على التعامل معها بلا يأس أو قنوط، ومتضمن لقيم إنسانية رفيعة مطلقة «بوجودها تصلح هذه الحياة وتطيب، وبفقداتها تفسد وتخبث»[2].

والانتقال من حيرة العالم المضطرب إلى يقين الدين الحق صمام أمان ووقاية من مخاطر الابتلاء، بما يتضمنه من عقائد وتوجيهات واقية، ومطمئنة مخففة من وقع الابتلاء، وقيم مطلقة ثابتة، وقد كان أعظم تحد واجه الشعوب هو غياب "الصدق" في التعامل مع الوباء، وقصد التضليل والكذب، فحتى معرفة الأحوال والأوضاع على حقيقتها لم تكن ممكنة، سواء في معرفة سبب انتشار الوباء، أو في معرفة عدد من أصيب به، أو في معرفة مدى توفر اللقاح من عدمه، وفي حال توفره كيف سيكون؟ وهل ستراعى فيه حياة الإنسان أم منطق المتاجرة بالإنسان تحت غطاء "تجارة الدواء" الذي أصبح يطلق عليه "تجارة الموت"! في عالم يتلاعب بكل شيء عبر شركاته العابرة للقارات، وقراراته الموجَّهة من "لوبي" المال، وصار التلاعب بالقرارات والكذب في البيانات أمرا لا يكاد ينفك عن السياسات المعاصرة «فالقرارات المتعلقة بمن يجب أن يعيش أو أن يموت تحت عنوان حماية الأمن القومي لأمريكا، تتخذ بطريقة سرية، كما أن الرئيس ومستشاريه هم الذين يفسرون وراء الأبواب المغلقة هذه القوانين، بالإضافة إلى عدم وضع خطوط حمراء لهذه العمليات، بما في ذلك المواطنون الأمريكيون...»[3]. ولا يستغرب هذا في سياسات لا قيم لها، ولا دين، تلهث وراء

[1] طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص: 110.

[2] طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟ ص: 13.

[3] حروب قذرة، جيريمي سكاهيل، ترجمة محمد سعيد الحسنية، ص: 197.

المادة متنكرة لكل المبادئ التي تعارض مصالحها، والسياسة لا تستقيم إلا بدين يضبط وأخلاق توجه، فلا مناص من تأسيس السياسات على الأخلاق، والأخلاق لابد لها من دين «وآفة التسلط السياسي نشأت عن أخذ السياسة ونبذ الأخلاق»[1] سياسة لا ترى ولا تبصر إلا المصالح المادية.

ولم يقتصر الخطب على عجز العالم عن اكتشاف دواء الوباء؛ بل الخطب أيضا عند اكتشافه -سيما في مراحله الأولى- من سيستفيد منه، وكيف سيستفيد؟ وهل هناك مؤشرات لضمان التعامل مع الناس سواسية، أم أن ذلك كان سينبئ باختلالات اجتماعية في توزيع الدواء والاستفادة منه، وقد تجلت بعض بوادر ذلك في العجز عن تجاوز الفروق الاجتماعية بين الشعب الواحد فضلا عن شعوب العالم، وبدت حرب خفية في ظل المحنة، كان يفترض أن تترك فيها المصالح الاقتصادية جانبا، ولكن الرأسمالية زادت توحشا، ولربما تأخر اللقاح بسبب صراعات ساهمت في هلاك الآلاف من الناس.

ومن دواعي الأسى والحسرة أن نجد بعض مثقفينا مقلدين لمذاهب اعترف أصحابها بفشلها وعدم جدواها، ولا مراء أن المذاهب الشرقية والغربية الداعية إلى نبذ الدين إنما تدعو لذلك؛ لكونها تجد هواها وتحقق مطامعها وملذاتها فيما يخالف الدين، بوسائل غير مشروعة قائمة على استلاب حقوق الآخرين في الحياة والعيش الكريم. وقد رأينا خلال أزمة "كورونا كوفيد 19" كيف انكفأت كل دولة من دول الاتحاد الأوروبي على نفسها، وتهاوت شعارات الوحدة والتضامن، وظهر الوجه الحقيقي للرأسمالية المتوحشة، ورغبتها في التضحية بالإنسان في سبيل المادة، وصارت التصرفات نقيض ما كان يروج؛ بل ما فتئت بالأمس القريب -وما تزال- تقول «إنها على حق فيما تعتقد وغيرها على باطل، وأنها على صواب فيما تقول وغيرها على خطأ، وأنها على هدى فيما تفعل وغيرها على ضلال، ثم إنها لا تأتي ما كان ظاهره خيرا، حتى تبادر إلى تعظيم شأنه، في حين لا يأتي سواها ما كانت حقيقته خيرا، حتى تبادر إلى تحقير شأنه...»[2]. وتحقيق التعاون شرطه تحقيق التعايش، وحتى إمكان التعايش نجده

[1] طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟ ص: 49.

[2] طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص: 164.

غير ممكن في بعض المرجعيات الغربية ف "ماكس فيبر" والفيلسوف الإنجليزي "أشعيا برلين" ذهبا إلى أن تصادم القيم صفة لا تنفك أبدا عن الحياة الإنسانية، وذلك الصدام مرده الاضطراب في أمر الدين «والأمر أشبه –في نظرهما– ب"تعدد الآلهة" ولا يمكن أن تتحقق هذه الرؤى والقيم إلا بحصول بينها ما هو أشبه ب "حرب الآلهة" لأن كل واحدة من هذه الرؤى والقيم مقدسة لدى صاحبها، ولأنه لا سبيل إلى الاستدلال على أن إحدى القيم المتصادمة أفضل وأولى بالاختيار من الأخرى...، ولو كانت هنالك مرجعية دينية لأمكن رفع هذا الاختلاف ودفع هذا التصادم، ولكن السعي وراء إقصاء الدين ودفعه هو الذي أدى لمثل هذا التعارض الذي أفضى إلى هذا التصادم المفضي إلى أشياء أخرى»[1].

والحديث عن القيم والأخلاق باعتبارها منقذا من الأزمات، لا يمكن الفصل كليا فيه بين الأخلاق والدين؛ فالأخلاق مأخوذة من الدين، ولا يمكن أن تنشأ من الواقع «لأن الواقع لا ينشئ إلا الواقع ...، فلا يبقى إلا أن الأخلاق –على الأقل في أصولها– مصدرها الدين؛ فيحدث منها العقل بإحدى آلياته الاستدلالية فروعا، فيتوهم بعضهم أن الأخلاق كلها، أصولا وفروعا، إنما هي من صنع العقل الإنساني»[2].

وتتسم الرؤية القرآنية للدين على أنه أمر مشترك وميراث متقاسم بين أمم الأرض وجميع الأنبياء، شرعه الله لعباده على مر العصور لغايات وأهداف سامية ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى:13) ووظيفته باعتباره الدين الخاتم أن يكون منهاجا ونبراسا يتبع في شؤون الحياة كلها، فهو دين الأولين والآخرين ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

[1] طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟ ص: 25.

[2] المرجع نفسه، ص: 37.

آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 127-129). وكما وسع الإسلام من سبق من الأمم؛ فإنه يسع ما جاء بعد من الأمم.

ويمكن استخلاص وظيفة الدين في الحياة في كونه يتوصل به إلى النظر والتفاعل مع الأشياء وفهمها على حقيقتها، والتعايش معها، والتخلق بالقيم ومكارم الأخلاق عند اشتداد الأزمات، بما هي حقة ثابتة مطلقة لا تتبدل ولا تتغير على أساس العرق أو اللون فصلاحيتها مطلقة، وبذلك يكون الإسلام هو الدين الوحيد المؤهل لتلبية حاجيات الإنسانية بتوازن.

ثانيا: كورونا وعالم الغيب والشهادة

من صور تجليات شمول الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان ما يتوفر فيه من خصائص غير متحققة في غيره، ومن ذلك عنايته بحياة الإنسان في الأولى والآخرة وربطه بينهما، واعتبار العمل في الأولى سببا للسعادة في دار القرار. ورؤية الحياة انطلاقا من عالمي الغيب والشهادة تزيد الإنسان سكينة وطمأنينة عند الفزع والابتلاء، وقد رأينا رأي العين خلال هذه الأزمة ما بلغه الإنسان في تعلقه بالحياة تعلقا صار مبعث قلق وجاوز حده الطبيعي، وما ذلك إلا بسبب عدم الاهتمام بعالم الغيب وغياب التطلع للعالم الآخر، ولو تعلق الإنسان بحياته الأخروية تعلقه بالحياة الدنيوية لتحقق له التوازن، ولاطمأنت نفسه. وقد ظهرت الكثير من المفارقات في التعامل مع الوباء، وظهر كثير من الخلل المنهجي والتصوري في النظرة "الوجودية" للإنسان وارتكازها على المادية الصرفة التي لا ترى في الإنسان إلا آلة ووسيلة لتحقيق مآرب مادية، وظهر مع ذلك "التوحش" الإنساني الذي لا يرى إلا حياته هو، وظهر النهب والسطو المنظم الذي لا يخشى فاعله جزاء، وقد رأينا ما تناقلته العديد من وسائل الإعلام عن استيلاء السلطات التشيكية -حسب الإعلام الإيطالي- على أقنعة طبية واقية ومستلزمات طبية أخرى كانت مرسلة من الصين إلى المشافي الإيطالية لمساعدتها في التعامل مع فيروس كورونا، إن العقل الذي ينطلق من هذا النمط من التفكير مقطوع عن عالم الغيب غير آبه لما يترتب على عمله من آثار، وكأن حياته تنتهي بانتهاء عمره القصير في حياة فانية لا مجال للمقارنة بينها وبين حياة أخرى باقية.

والنظرة السطحية للحياة الازدرائية لوظيفة الإنسان في الوجود تحوجنا إلى تفكيك موقف المجتمعات الغربية وغيرها من الإنسان، وفصل المقال فيما بين حقيقة الواقع والادعاءات من اتصال وانفصال، ومقارنة ذلك بما جاء به الدين الإسلامي من الرفعة والتكريم، والحرص على حياة الإنسان، وكرامته حيا، وميتا، صحيحا ومريضا، يافعا، وكهلا، وتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بالإنسان في عالمه الداخلي، والخارجي، وتوجيه حياته الوجودية كلها بغايات سامية وتنبيهه إلى عالم الغيب المنظم لحياته في عالم الشهادة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:115) فمن فوائد الإيمان بعالم الغيب حمل الإنسان على التزام المثل والمكارم، وبذلك تتصل حياته التي يعيشها بحياته الأخروية التي لا يعرف طبيعتها؛ فيسعى جاهدا لتحقيق حياة أفضل، بصبره على تحمل الشدائد وبحبه الخير للناس وتفانيه في تقديمه للآخرين، فيحرص على فعل ما يخلد ذكره ويحقق سعادته الدنيوية والأخروية، فإذا اشتدت الأزمات وقل المال أو الطعام جاد من يجد على من لا يجد، وكابد في سبيل إسعاد غيره طمعا في إسعاد نفسه، موقنا أن أعماله وحياته لا تنتهي بنهاية هذه الحياة، وأن عمله في عالم الشهادة يؤسس به لحياته في عالم الغيب، فيستجلب بذلك راحة نفسه وراحة غيره، ويتعامل مع الغيب تعامله مع عالم الشهادة، وهو وإن لم ير الغيب فقد سمع عن أحواله بعلم اليقين ما يجعله كأنه يراه بعين اليقين؛ فيسعى لتحقيق الإصلاح في عالم الشهادة بما يأمله في عالم الغيب «وإذا كان تصرف الإنسان مع أبناء أمته، عموما، يستدعي أخلاقا معينة -أي عملا تعارفيا مخصوصا- فإن تصرفه مع غيره من الأمم الأخرى يتطلب منه أخلاقا تعلوها رقة وتنوعا-أي عملا تعارفيا أكبر-...»[1]. وذلك مقتضى القول الحسن للناس ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: 83) وفعل الخير المطلق ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: 77) ولا يمكن لهذا القول والفعل أن يستمر عند اشتداد الأزمات إلا إذا كان صاحبه يأمل منه نفعا أعظم «والدين جاء على وفق ما خلق الإنسان عليه من ذاكرة تحفظ معاني وأفعالا غيبية، ولما صار الإنسان بفضل هذه الذاكرة كائنا متعديا غير قاصر

[1] طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص: 21.

يجمع بين عالمين اثنين: "عالم مرئي" و"عالم غيبي" كان لابد أن تكون مطالبه ذات صبغة متعدية، لا قاصرة، تسعى إلى تحقيق الوصل بين هذين العالمين المتقابلين، وهكذا، فإن وجود هذه المطالب ينم عن وجود استعداد مركوز في نفس الإنسان يجعله يتشوف على الرغم من طبعه المادي أو وضعه الخارجي إلى التسامي إلى العالم الغيبي»[1].

وتعلق الإنسان بعالم الغيب يضفي عليه السكينة والصبر فيما نزل به، وغياب تعلقه بالغيب وإيمانه بالمصير، قد يقذف به إلى «أودية القلق والريبة والحيرة، وحينئذ، لابد أن تشتد حاجته إلى تجديد تساؤلاته عن سر وجوده، متطلعا إلى أن تتراءى له أجوبة أخرى أكثر إقناعا لعقله وأقدر طمأنة لقلبه»[2]. وبدت حالات الإلحاد التي تسود المجتمعات علنا وعلى استحياء تتهاوى شيئا فشيئا، ويتهاوى معها بالتبع ما نتج عنها من تبعية عمياء متنكرة للدين أو مستخفة به، وظهر الداعون إلى التحرر من الدين من المسارعين إلى الدعوة لإقامة الصلوات، وتقليب الوجه في السماء طلبا للسكينة ودفعا لخطر محدق حاق بهم لم يعد ينفع معه سوى البوح بالحقائق والسرائر الإيمانية المركوزة فطريا في الإنسان والتي تضفي على حياته ووجوده أسباب الراحة والبقاء. والمطالب الأساسية التي تصل الإنسان بعالمي الغيب والشهادة، هي -كما يعبر عنها طه عبدالرحمن-: «"معنى الوجود" و "سعادة الحياة" و"كمال الأخلاق" و"خلود الروح" والحال أن الاستجابة لهذه المطالب الأربعة لا يمكن أن ينهض بها إلا نظام ديني متكامل جمع إلى اتساق عناصره اتساق مجالاته»[3]. والدين هو المستوعب لكل متطلبات الحياة على اختلاف مجالاتها، فالذي يريد فهم حقيقة وجوده لابد له من دين، والذي يريد الطمأنينة في الحياة يحتاج إلى الوسائل المحققة لها ولن يجدها إلا في الدين، والذي يبتغي نظاما يسير عليه في حياته يحتاج إلى الدين «والدين يعرف الإنسان بسر وجوده، مترقيا به إلى كمال سلوكه، ويمده بأسباب سعادته، مؤديا إلى

[1] طه عبدالرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، ص: 85.

[2] المرجع نفسه، ص: 85.

[3] المرجع نفسه، ص: 88.

خلود روحه»[1]. وقد أدركت الماركسية التي اعتبرت الدين "أفيونا" و"قوة رجعية" حاجتها إلى الإيمان بالغيب وأثر الإيمان بالبعث على الحياة، وذلك لما واجهتها أول محنة حينما «واجه ستالين مشكلة مصيرية في حربه مع الألمان قلبت جميع الموازين، حينما رأى الفلاح الروسي يعطي ظهره للعدو ويولي الأدبار، فلما ذا يحارب؟ ولما ذا يموت؟ إذا كان قائده الأعلى يقول له: إنه لا آخرة ولا بعث بعد موت، ولا امتياز لشهيد على خائن، وإنما الكل ذاهب إلى التراب؟ ثم يدافع عن ما ذا؟ وعن من؟ ... أمام هذا التخاذل الخطير رأى ستالين نفسه مضطرا ليعيد الحماس إلى هذا الفلاح أن يعود فيعترف بالوجود الضروري للكنيسة، وأن يفتح أبواب الكنائس للصلاة ... فعل هذا مضطرا برغم تناقضه مع جوهر تفكيره كشيوعي ماركسي»[2]. وما دعا إليه سواء كان خداعا أو اقتناعا؛ فإنه يبين بالملموس اعتراف الثائرين على الدين المحاربين له بحاجتهم إليه؛ لكونه يحل لهم معضلة واجهتهم فلم يجدوا سبيلا إلا الدعوة إلى الرجوع إلى التعاليم الكنسية، وإذا كان ذلك مع ديانة محرفة؛ فكيف لما يتعلق الأمر بدين شمولي غض طري كامل ما يزال كما أنزل، وفيه حل واقعي لمختلف المشكلات في مختلف مجالات وشؤون الحياة.

ومن دواعي الأسيى أن نجد بين ظهرانينا من ما يزال يطبل للنماذج المتنكرة للدين ممن «ينطلق من رؤية مادية نفعية ...، ويسعى لتدويل نموذجه وفرضه على الكثير من المجتمعات إما من خلال القمع أو الإغواء»[3] وتارة عن طريق التضليل؛ فما تضمنه الإسلام من عقائد إيمانية متعلقة بالغيب كالبعث والجزاء، والتي من شأنها أن تحمل الفرد على الاستقامة تصور للناس على أنها خرافات يجب الحذر منها، وذلك إدراكا من الفئة المضللة بأثر الوعي بهذه القضايا وتأثيره الإيجابي في حياة الناس «والآراء الشائعة في الغرب عن الإسلام تتلخص فيما يأتي: انحطاط حال المسلمين ناتج عن الدين الإسلامي ذاته، ولا يمكن أن نعده عقيدة دينية مثل المسيحية واليهودية، وأنه أقرب إلى خليط غير مقدس من خيالات الصحراء والحسِّية

[1] طه عبدالرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، ص: 89.

[2] مصطفى محمود، أكذوبة اليسار الإسلامي، ص: 8.

[3] عبدالوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، ص: 122.

الشهوانية، والخرافات والاتكاليات والإيمان بالقدر، وهي قيم تحول بين المسلمين وإحراز أي تقدم اجتماعي راق وفاضل، وبدلا من تحرير البشر من عراقيل الغموض والظلام كبلهم الإسلام أكثر، وبمجرد تحررهم من العقيدة الإسلامية وتبني مفاهيم الغرب في أسلوب حياتهم وفكرهم؛ فإن ذلك سيكون أفضل لهم وللعالم كله»[1] وأعانهم على هذا التصوير المضلل جهل الشعوب التي يخاطبونها والتي لا تقرأ كثيرا، وما عليه حال المسلمين من واقع لا يسر؛ فلذلك تبنى الناشئة على قطيعة تامة مع الدين واعتبار الدين الإسلامي رمزا للتخلف؛ كي لا يفكر أحد في النجاة بالدين وقراءة ما فيه والاطلاع على ما جاء به. وغاية هذا التضليل أن يظل الإنسان ماديا تائها متحكما فيه يسعى وراء ملذاته الشهوانية لا يرى الحياة إلا من خلالها، ولا يتطلع إلى عالم الغيب الذي يسمو فيه بروحه ويسمو بسلوكه وأخلاقه، طمعا فيما أعده الله له، وهو نظام ورأي ممنهج يرتكز على مادية الإنسان والأشياء على حد سواء، ينظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة ويعتبره جزء منها لا فرق بيه وبينها «فهو كائن مادي موجود في كليته داخل النظام الطبيعي المادي يعيش في الطبيعة وبها ومنها وعليها ولا وجود له خارجها، جزء لا يتجزأ منها يسري عليه ما يسري على الكائنات الأخرى، وليس له هدف إنساني مستقل عن الطبيعة، وليس له إرادة مستقلة عن القانون الطبيعي، ويمكن تفسيره من خلال القوانين الطبيعية»[2].

ويتجاوز الأمر التضليل في الرؤية والتصور إلى تقديم النموذج المفلس "الليبرالي الأحادي" على أنه النموذج الصالح ف "الإنسان الكامل" في الفكر الغربي ينبني على الماديات، وأساسه التحرر من كل ما يقيد الروح الإنسانية، والانطلاق في عالم الماديات وأن لا سبيل للمتعة الإنسانية إلا بالتلذذ بما يدركه من محسوسات. ونزعة ما يعرف ب "المذهب الإنساني" في أوروبا قائمة على هذا الأساس عند الماديين، وما يزال هناك الكثير من القصور يلف حقيقة الإنسان ووظيفته –في الرؤى الغربية– كما يقر بذلك ألكسيس كاريل "الفرنسي" «إن أكثر الأسئلة التي يطرحها من يدرس

[1] الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة رفعت السيد علي، ص: 269.

[2] عبدالوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، ص: 125.

الإنسان بقيت دون جواب ...، وإن معرفتنا لأنفسنا ما زالت ناقصة»[1]. والفرصة سانحة اليوم أمام الأمة الإسلامية لمزيد تعريف بمثلها وقيمها ورؤاها المتعلقة بالكون والحياة المستندة على مرجعيتها الربانية، وإلا سيجد العالم نفسه أمام عرض أطروحات واختبارات جديدة قد يجد فيها أحزاب "اليمين المتطرف" في أوروبا فرصة لادعاء نموذجه القائم على تطبيق أفكاره التي ينادي بها منذ سنوات، سواء "الاقتصادية" أو "الاجتماعية" أو "الإيديولجية" والأمة الإسلامية ما لم توظف مقوماتها الحضارية والمادية في رؤيتها الكونية للوجود الإنساني وحقيقة العلاقات الاجتماعية المتصلة في تنظيمها بين عالم الغيب والشهادة؛ فإنها ستواصل انحدارها وتقهقرها ما لم تعتبر بسنن الله الكونية.

ثالثا: عالم ما بعد كورونا

إن استشراف المستقبل السعيد للإنسانية والتطلع إليه مطلب يراود بال كل راغب في الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة؛ غير أن الحاجة إلى هذا الاستشراف تشتد عند كل أزمة وإدراك ملموس لفساد نظام قائم، فيتطلع الناس لما يصلح حالهم ومآلهم، دون إغفال ماضيهم استبصارا واعتبارا، ولاشك "أن من الحصافة بمكان أن ندرس النظام الاقتصادي العالمي من منظور تاريخي أطول، وأن نقر بأن التغيرات الحالية وإن كانت مهمة ومتميزة فإنها ليست بلا سابق...»[2] فهناك جملة من التراكمات التاريخية القديمة والحديثة التي أقنعت الجميع بأن البشر لا يستطيع أن يضع تشريعا شاملا صالحا للبشرية كلها، وأن التشريعات الإنسانية لا تخلو من أنانية وتحيز لجنس على حساب آخر؛ كما هو الواقع العالمي اليوم، وكما كشفت ذلك "أزمة كورونا كوفيد 19" التي مر بها العالم.

وقد أغنتنا تلك الحقائق المشاهدة والتصريحات المزدرية للإنسان والتضحية بفئة على حساب أخرى عن كثير من التفكيك القولي الذي لطالما خاضت فيه أقلام كتاب ومفكرين من الشرق والغرب، ونبهت إليه بعض النخب التي لم تُسمع أرباب القرار

[1] ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: أنطوان العبيدي، ص: 23.

[2] بول هيرست وجراهام طومبسون، ما العولمة؟: الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم، ترجمة: فالح عبدالجبار، ص: 7.

الذين لا يريدون الاستماع إلا لما يخدم الرأسمالية المتوحشة التي لا ترى إلا المادة وتسعى إلى تقسيم الإنسان إلى فئتين: فئة تستحق الحياة، وفئة لا تستحق الحياة. وبدت المعاملة في جوهرها مادية نفعية محضة، خالية من القيم الروحية والإنسانية، تجلت فيها سمات أخرى للطبقية بين أبناء البلد الواحد؛ فقد كانت الشكوى من قبل من ذيوع العنصرية والطبقية بين الأجناس المختلفة في البلد الواحد وبدت اليوم طبقية أخرى أساسها "العمر" وتجلى أن كبير السن غير مرغوب فيه؛ بينما نجد الحضارة الإسلامية تحث على تقدير ذي الشيبة وزيادة الإحسان والحذر في المعاملة عند الكِبر، وما كان يُدعى من قيم "الإحسان" و"المساواة" و"الإنصاف" بدا سرابا وقولا بلا فعل. وإذا كان العلماء المهتمون بالقيم يرون «أن للقيم الأخلاقية وجهين اثنين: أحدهما وجه كثيف يخص كل أمة على حدة لتعلقها بثقافتها وتاريخها، وبفضله تتعدد هذه القيم؛ والثاني: وجه لطيف يشترك فيه أفراد الإنسانية جميعا، ولا ينكشف لهم إلا من خلال الأحداث ذات البال –أو قل الابتلاءات– التي تقع لهذه الأمة أو تلك، وبفضله تتوحد هذه القيم»[1]. فإننا في ابتلاء هذا الوباء رأينا القيم تتهاوى في كثير من الدول، واختفت شعارات الإنسانية عملا وإن لم تختف قولا. وأظهرت أزمة كورونا بجلاء حصحص الحق فيه حقيقة النظرة الغربية للإنسان واهتماماتها المادية دون أن تعير إنسانيته اعتبارا، وهي نظرة دونية تقتصر على استغلال الإنسان دون اعتبار لإنسانيته وكرامته، وقد تجلى هذا بوضوح في التنكر لحياة الإنسان واللهث وراء ما هو مادي، ولو فني بسبب ذلك أصناف من البشر "ممن لم تبق لهم مهمة في الحياة وخدمة يقدمونها للمجتمع" حسب تعبير بعض الشباب الأوروبي الذي أشبع بقيم لا تؤمن إلا بما هو مادي آني، وهو فكر ينم عن طبيعة جيل ناشئ تربى وفق نمط وبمناهج تنتج إنسانا مشوها في فكره وقيمه ورؤاه، وهي رؤى تنطلق من أطروحات وتنشئة مادية، تؤكد غياب المرجعية الإنسانية وتآكل القيم وفقدانها، وهيمنة المصلحة الذاتية النفعية الفردية «والأزمة قد كشفت عن نوعين من الحقائق التي لا تزال في طور التشكل: يتعلق النوع الأول بانكشاف مساحات من الواقع العالمي لم تكن واضحة بهذا القدر

[1] طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟ ص: 37.

الذي أحدثته الأزمة؛ أو على الأقل لم تكن السياسة الدولية المهيمنة والغالبة تأبه له؛ مثل التهديدات الكوكبية والبيئية (البيولوجية في حالتنا الراهنة) للنظام العالمي وبالأخص لقواه الكبرى، والخلل الضخم في السياسات العامة القومية والعالمية التي تديرها حكومات الدول الكبرى، وتفشي الثغرات في منظومة السياسات الغربية من جهات عدة: الهشاشة أو الخفة الرأسمالية، الأولويات الأمنية الكاسحة، طبيعة التعاون الدولي حتى داخل الغرب، بل داخل كل من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة ما بين الفيدرالي والمحلي، فضلا عن الضعف والخواء الروحي، مع تراجع تأثير الدين والقيم الدينية في المجتمعات المختلفة، وكذا أزمة المؤسسات الدولية والعلمية رهينة السياسات الغربية، وضعف مناعة العالم تجاه الكوارث كما كان قد ثبت من قبل ضعف مناعة النظام الدولي ضد الحروب بأشكالها حتى بعد نهاية الحرب الباردة»[1].

فهل سيؤثر هذا الكشف عن هذا الجانب المظلم الذي لطالما كان خفيا على البعض على تشكل عالم جديد بفكر ورؤية جديدة للحياة والإنسان، تستدعي الدين والتدين باعتبارهما أمانا للفرد والجماعة والأمة من كل ما يزدري الإنسان ويحتقره، وحينما نتحدث عن الدين والتدين فإنا نقصد التدين الحق المتشبع صاحبه بقيم الدين وتوجيهاته السمحة في الفكر والسلوك، ولا نحمل الدين أبدا وزر انحراف أبنائه عن توجيهاته في فكرهم أو سلوكهم، وهو التدين المنشود في عالم ما بعد كورونا الذي ينبغي أن توقظه الحقائق المشهودة من سبات وغفلة عن دينه وحقيقة ومآل حياته «والأصل في نظر المسلم أن يكون نظرا ملكوتيا، والأصل في عمله أن يكون عملا تعارفيا، والأصل الأول يجعله ينظر في آيات لا يتناهى اختلافها، والأصل الثاني يجعله يتعارف مع أشخاص وأمم لا يضاهى اختلافهم...، ولأن النظر الملكوتي يورث المسلم رسوخ الإيمان، وهي كذلك اختلافية أخلاقية؛ لأن العمل التعارفي يورثه دوام التخلق»[2]. إن عالم ما بعد كورونا ينبغي أن يكون عالم اليقظة والانتباه الذي يستخلص

[1] أزمة كورونا وحالة العالم، إدارة الأزمة ومستقبل النظام العالمي، ما ذا؟ وكيف؟ ولما ذا؟ نادية مصطفى، مقال منشور في موقع "مركز الحضارة للدراسات والبحوث" على الرابط التالي: https://hadaracenter.com/?p=4626 تمت زيارة الرابط، بتاريخ: 2019/06/10م.

[2] طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص: 25.

العبر، ويتجاوز الواقع الممزق فكريا وقيميا ودينيا، ويتفطن لأنماط التفكير المهيمنة منذ بداية القرن العشرين "الماركسية، العلمانية، الليبرالية" في كل من العالمين الغربي والإسلامي والتي أفضت بالحياة الإنسانية إلى التنكر لإنسانية الإنسان، ولطالما نادى كثير من مفكري الغرب أنفسهم بتجاوز الحياة المادية التي زادت حياتهم شقاء وضرورة الرجوع إلى الحياة الروحية، وقد أقر "أندور كونوان أيفي" «أن النواحي الروحانية والأخلاقية في حياة الإنسان وما ينبغي أن تفعله، لها أهمية بالغة بالنسبة لسلامة الإنسان ورفاهيته، وهي أهمية تفوق أهمية معرفته وسيطرته على الطبيعة الإنسانية»[1].

ومهما يكن من أمر سبب هذا الوباء سواء كان مصطنعا أو غير مصطنع فهو يبرز تحدي التقدم العلمي وأخلاقيات التقدم، وما يجب تربية الأجيال عليه من قيم، فما فائدة علم تفنى أعمار في اكتسابه، ثم يهلك الحرث والنسل بسببه؟ إن التقدم العلمي بلا قيم حقة وبال وخطر على الإنسانية، والدول المستضعفة لن يحميها استجداؤها بقوة ما لم تأخذ أسباب القوة المادية والتربية الروحية التي تحقق لها التوازن، و"الحضارة المهيمنة" لا تقتصر فقط على نشر نمطها الفكري والسلوكي، أو الاقتصار على التسويق لنظرياتها، بل تجعله نمطا أحاديا وتسعى لفرضها طوعا وكرها «ولا تكتفي "الليبرالية" بالفصل بين السياسة والأخلاق، بل تتجاوز ذلك إلى جعل الجانب السياسي، مقدما على الجانب الأخلاقي، وإلى حصره في القيم "الليبرالية" كالحرية والمساواة والعدل وحدها، مغالية في التمسك بها إلى حد التسلط على الشعوب باسمها»[2]. وهي قيم لا نرى منها في الواقع إلا الادعاء، ولا تستحضر إلا عند الحاجة والاقتضاء.

إن العالم بحاجة إلى التنعم بنعمة الإسلام، وتحقيق معانيه السامية، التي يعيش فيها المجتمع متعاونا متآخيا يعطف فيه الغني على الفقير، ويقدر فيه القوي المستضعف، ويتآزر الجميع أوقات المحن والشدائد، ويكون التكريم للإنسان وتسخر

[1] محمد بلبشير، صورة الإنسان بين المرجعيتين الإسلامية والغربية، الإنسان الكامل في الرؤية الإسلامية، ص: 174.

[2] طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟، ص: 20.

له الأشياء بدل أن يسخر هو للأشياء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70). وما أسفرته أزمة كورونا من حقائق تبين فيها بما لا مجال للشك فيه فساد ما كان يروج له من قيم متوهمة سقطت عند أول اختبار، بل انقلب من يروج لها بأفعاله المتناقضة، ووجدنا من يدعو إلى التخلص من كبار السن، ووضع أولويات من يتخلص منهم، وإن عالما يتنكر لمن قدم خدمات جليلة له وأفنى شبابه في بنائه، ثم يأتي جيل يتنكر للباني وما بنى ولا يبالي بتقدير جهده، بل يسعى إلى التخلص منه ليستمتع بأرض وشجر ومناظر بناها "العجوز" الذي يريدون التخلص منه، وكشرت الرأسمالية عن أنيابها والتصريح بإبادة الإنسان، ورأينا كيف كان التراخي والاستهتار بحياة الإنسان من لدن دول طالما زعمت أنها راعية القيم، فقد تهاونت أمريكا في حماية حياة الناس، وتهاونت بريطانيا في سن القوانين الواقية حفظا للاقتصاد، وتجلى انحطاط أخلاقي مريب فيما يعرف ب "مناعة القطيع" القائمة على كون عدد كبير من السكان ممن تقل أعمارهم عن خمسين سنة، ليسوا عرضة للإصابة بالوباء، وهو تنكر صريح للفئة المستضعفة التي تحتاج إلى عناية ورعاية أكثر، وتصريحات "بوريس جنسون" رئيس الوزراء البريطاني في 13 مارس 2020م، وتلتها تصريحات لكبير المستشارين بالحكومة البريطانية "باتريك فالانس" ألمح فيها لإمكانية استخدام طريقة "مناعة القطيع"[1] وآثار تطبيق ثقافة "مناعة القطيع" يترتب عليها إصابة من بين 60٪ إلى 70٪ من السكان، وهو ما يعني إصابة أكثر من أربعين مليون شخصا، ووفاة أكثر من مليون حالة، وتم انتقاد ذلك من منظمة الصحة العالمية ذاتها[2]. لقد تبين أن هذه الدول الراعية في زعمها للقيم ليس لها رصيد أخلاقي تقود به الإنسانية، ورأينا في إجلاء

[1] تنظر تصريحاتهما على:
https://www.youtube.com/watch?v=dmk1VwQZ9es تمت مشاهدة المقطع على الرابط بتاريخ: 10-05-2020م.

[2] ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=dmk1VwQZ9es تمت مشاهدة المقطع على الرابط بتاريخ: 10-05-2020م.

العالقين مظاهر من التمييز حيث كان التعامل على أساس الأوراق الثبوتية والتمييز بين المجنس وغيره، وكان حريا التعامل بمقتضى الانتماء إلى الجنس الإنساني.

وتم بعمد وإصرار تجاهل التحذيرات الصادرة عن منظمة الصحة العالمية، بل استخدمت الوسائل الممكنة لخداع الشعوب بالتضليل الإعلامي، وممارسة الابتزاز، وهل فعلا الرئيس الأمريكي لم يقرأ التقارير المبكرة التي حذرت من خطر الوباء، والصادرة عن مستشاريه ومؤسساته، أم أنه لا يريد أن يقرأ ! وإذا قرأ لا يريد أن يعمل ! ولم يعد الإشكال فيما يقال فحسب؛ بل في تصديق ما يقال «وتعرضت الثقة لزلزلة شديدة ليس في الشرق المتشكك فيها من البداية، إنما في الغرب ذاته الذي لا يزال يقودها؛ ما يعني أن عالم ما بعد كورونا -إن جاز التعبير- سيشوبه الكثير من الخوف والقليل من روح المغامرة التي قامت عليها الرأسمالية أو هكذا يدعي سدنتها»[1].

وعالم ما بعد كورونا وجب السعي فيه لتحقيق أسباب القوة المادية وقيادة العالم ممن له الأهلية العلمية والأخلاقية، وإذا كانت الأهلية العلمية تجري فيها سنن الله على الجميع بحسب ما بذلوا من جد واجتهاد، فكذلك التحلي بالأخلاق بعد التحقق من التقدم العلمي لن نجد له منظما سوى الدين الذي يعلم الإنسان الرقابة الحقيقية على الذات ويستأمنه على حياة الناس، ويربي في النفس المراقبة ويحذرها من التفكير السيء فضلا عن فعله ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 284).

ولن يكون تشكل قوى جديدة بالأمر الهين، وصراع الهيمنة على أشده «فهيمنة الولايات المتحدة على الموارد الطبيعية في العالم على أشده، إضافة إلى مواجهة الدول "القومية" التي تقف في طريق تعزيز هذه الهيمنة»[2]. وهي هيمنة اقتصادية وفكرية تسعى إلى استعباد العالم وفق نمط معين بمصطلحات براقة رنانة وخلاصة مختلف

[1] أزمة كورونا وحالة العالم، إدارة الأزمة ومستقبل النظام العالمي، ما ذا؟ وكيف؟ ولما ذا؟ نادية مصطفى، مقال منشور في موقع "مركز الحضارة للدراسات والبحوث" على الرابط التالي: https://hadaracenter.com/?p=4626 تمت زيارة الرابط، بتاريخ: 2019/06/10م.

[2] حروب قذرة، جيريمي سكاهيل، ترجمة محمد سعيد الحسنية، ص: 30 (بتصرف).

أوجه قهرها المادي قائم على الغزو الفكري وطمس الهوية الدينية التي تكسب الأفراد ممانعة ووقاية؛ لذلك الحرب ضروس بوسائل مختلفة لتحقيق الغزو الثقافي والمقصود به «قهر الثقافة الأقوى لثقافة أخرى أضعف منها»[1]. فلا مناص من الرجوع إلى الدين باعتباره المنقذ من التيه ومن "التوحش" الرأسمالي الذي يرى المادة معيار التعامل مع كل شيء، وحتى أولئك الذين ينادون بكونية القيم والأخلاق فإن السؤال أي قيم تصلح للكونية، صحيح أننا لا نختلف عن أهمية القيم وضرورتها للإنسانية لكن أي قيم؟! هل القيم الجوفاء التي ترفع شعارا والتي تتلون بتلون السراء والضراء ويريد أربابها فرضها تبعا لهيمنتهم المادية؟! أم القيم الثابتة التي لا تزداد في أوقات المحن إلا صلابة وتزيد صاحبها رغبة وعزيمة واستمرارا، وذلك أمر لا نجده إلا في القيم الإسلامية كقيمة "العدل" والإحسان" و"الإيثار" التي يشتد حالها وتزداد صلابة صاحبها وقت الشدة والضراء حسب قوة إيمانه «والقيم الإسلامية هي السبيل الأمثل، بل والوحيد لصناعة "الإنسان الكامل" ورأب الصدع الأخلاقي الذي تشهده الإنسانية المعاصرة؛ فلا مناص من التحلي بها، وتمثلها على مستوى الذات والسلوك»[2].

والرابطة الدينية بين الإنسانية جمعاء هي الأقدر على التأليف والتعاون وتحقيق قيم الخير والعدل في السراء والضراء، والتكتلات الإقليمية والدولية التي كان يُتندر بها تبين أنها قائمة على مصالح مادية واقتصادية محضة تتلاشى لحمتها عند أول تعارض مع ما هو مادي «والواقع الذي تعيشه "المجموعات الحضارية الثمانية" التي يحتضها العالم تاريخا وواقعا في التعامل بعضها مع بعض هو بدوره مزدوج تعايشي وتصارعي في آن واحد»[3]. وقد ظهر كيف تلاشت القيم، وتنكر الاتحاد بعضه لبعض، ولم يعد للاتحاد في الضراء ووقت الحاجة للتكتل إلا الاسم، وما ذلك إلا لانبناء العلاقات على ما هو مادي آني محض الغالب فيه منطق "الأنانية" الذاتية المفرطة، وبدا

[1] جلال أمين، العولمة، ص: 50.

[2] صورة الإنسان بين المرجعيتين الإسلامية والغربية، الإنسان والقيم في النصوص التأسيسية، منية الغربي، ص: 75.

[3] طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟، ص: 20.

مطلب التعاون والتضامن بين تلك الدول في تلك الظروف مطلبا ساذجا[1]، وغدت المؤسسات الخيرية فيها رهينة الدول التي تتحكم فيها، وبذلك ظهر ضعف المناعة والتكتل الذي لطالما تشدق به الغرب، وإذا كان هذا على الصعيد الرسمي؛ فإنه على الصعيد الاجتماعي والفردي كان الذهول وطلب النجاة هما سيدا واقع الحال. لقد تعرضت المعاني الإنسانية إلى زلزلة شديدة في هذا الوباء ظهر فيها أن المعاني الحقة الكفيلة بالبقاء والاستمرار هي الباقية المستمرة، وتلك المعاني لا تكون إلا عن تدين حقيقي واستمساك بدين ينظم حياة الإنسان في المعاش والمعاد.

خاتمة

نخلص مما سلف إلى سراب نظم وقيم العالم المتحكم وزيف ادعاءاته الحقوقية، وحاجة الإنسانية إلى ما يحقق أمنها ورخاءها وسعادتها الدنيوية والأخروية، وضرورة السعي إلى دفع آفة التسلط العلمي والفكري، وأن تقوم الأمة الإسلامية بواجب الإعداد الشامل المحقق لشهودها الحضاري وتوظيف رؤيتها الكونية في الحياة، المستندة على المرجعية الربانية، آخذة بالأسباب والسنن لقيادة الأمم، وذلك مما لا يتأتى إلا بتحقيق قوة ذاتية ضامنة للتوازن الممكن من التعريف بالرؤية الحضارية التي لا يمكن تحققها إلا بعد تحقيق الندية المادية، ومن ثم يتبين للعالم أجمع أقوم النظم قيلا وأهداها سبيلا في تكريم الإنسان وإسعاده.

[1] وستظل تصريحات الرئيس الصربي "ألكسندر فوتشيتش" الأكثر صراحة عندما قال بأن التضامن الأوروبي هو قصة خيالية وخرافية على الورق، ومجرد وهم لا وجود له في الحقيقة. تنظر تصريحاته على الرابط التالي: https://youtu.be/dHSR61Dx7Nc.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: أنطوان العبيدي، دار الكتاب المصري، القاهرة.
2. بول هيرست وجراهام طومبسون، ما العولمة؟ الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم، ترجمة: فالح عبدالجبار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1422هـ/2001م.
3. حروب قذرة، جيريمي سكاهيل، ترجمة محمد سعيد الحسنية، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، ط: الأولى، 2016م.
4. صورة الإنسان بين المرجعيتين الإسلامية والغربية (الإنسان والقيم في النصوص التأسيسية، منية الغربي) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: الأولى، 1441هـ/2020م.
5. الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة رفعت السيد علي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1425 هـ.
6. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط: الأولى، 2005م.
7. طه عبدالرحمن، تعددية القيم، ما مداها؟ وما حدودها؟ مراكش، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط: الأولى، 2001م.
8. طه عبدالرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، 2012م، ص: 85.
9. عبدالوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، د.ت.
10. العولمة، جلال أمين، القاهرة: 2002 م (سلسلة اقرأ، 636).
11. مصطفى محمود، أكذوبة اليسار الإسلامي، دار المعارف.

مواقع إلكترونية:

1. https://hadaracenter.com/?p=4626
2. https://www.youtube.com/watch?v=dmk1VwQZ9es
3. https://www.youtube.com/watch?v=dmk1VwQZ9es.
4. https://youtu.be/dHSR61Dx7Nc.